

تغول جهاز مخابرات الحزب (باراستن) ل KDP والمنطق القبلي 1-4

أيوب بابو بارزاني. 29.3.2022

نالت ضربة الصواريخ الإيرانية على مواقع إسرائيلية في أربيل في 13 آذار الجاري، اهتماما واسعا في الفضائيات العربية وفي الصحافة الشرق أوسطية والأجنبية، وكتب عنها صحفيون وكتاب معروفون ومنهم:

حسني محلي، البرزاني و"الموساد".. ما خفي أخطرا!
هدى رزق، ضربة إيران الباليستية في أربيل.. رسائل النار
عادل الجبوري، الخاصرة العراقية الهشة.. الإقليم جزء من الحل والمشكلة،
محمد فرج، بين كردستان وأوكرانيا من يستجلب الحرب إلى أرضه؟

Iran's Attack Was Response to Secret Israeli Attack on Drone Site. The New York Times
How Israel is using Iraq's Kurdistan as a Launchpad to attack Iran. Richard Silverstein

وكثيرون آخرون في الصحافة الغربية، ولاتزال المقالات تتوالى حول نفس الموضوع.

للأسف ليس هناك تمييز بين موقف الزعامة الكردية والشعب الكردي بأكثريته الساحقة. فمن المجحف وضع مسؤولية القرارات السياسية للحكم العائلي في كردستان على عاتق الشعب الكردي، من المسلم به انه لا توجد قرارات جماعية مدروسة مبنية على مصالح المجتمع ككل وللأمد البعيد، أما البرلمان والحكومة في أربيل فمجرد ديكورات. فرئيس (حدك) وأولاده وأقربائه يحتلون جميع الرئاسات في الاقليم واحكموا القبضة العسكرية والاستخباراتية والمالية في مناطق نفوذهم، وتتخذ القرارات وفق المنطق القبلي القديم داخل الدائرة المغلقة. وقد حذر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل بعد لقائه في طهران ب (ملا مصطفى) صيف عام 1975 الى مخاطر هذا الأسلوب القبلي في مقالته الشهيرة (لقاء مع صقر عجوز من كردستان).

هذه المقالات وغيرها ربما عن عدم المام لم تشر الى دور جهاز استخبارات الحزب (باراستن) في صياغة العلاقات مع أجهزة المخابرات السرية الأجنبية لأمدٍ يمتد الى ستينات القرن الماضي. ومنذ تأسيس ال (باراستن) عام 1965 والى يومنا هذا ترسخت ظاهرة التوارث السياسي للمناصب العليا والرئيسية في جهاز الحكم والحزب وبات حكرًا على أبناء وأحفاد (ملا مصطفى) يتوارثونها جيلاً بعد جيل. وهو جهاز فوق القانون والمسائلة، لا يعبأ لا بالبرلمان ولا بالوزراء الكرد، انما يتجسس عليهم كما شاهد الملايين في الآونة الأخيرة على مواقع التواصل الاجتماعي من فضائح وسقوط أخلاقي يمس مسؤولين كبار داخل أجهزة (الباراستن) و(الحزب) و(البيشمركه). والجهاز خاضع مباشرة لأبناء رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود) والأخير عينه والده في الستينات من القرن الماضي كرئيس للجهاز. وفي الآونة الأخيرة ظهر تصدع في الجهاز من أعلى المستويات وتسربت معلومات خطيرة تظهر مدى التفسخ والانحطاط الداخلي وفقدان السيطرة على أعماله الى حدود بات يشكل خطراً على النخبة الحاكمة ذاتها.

ولنستشهد بما يقوله عضو بارز (علي سنجاري) الذي قضى كل حياته في خدمة (KDP). ويكتب عن بداية السبعينات من القرن الماضي:

"وكان مقرّ البارزاني وراء وصول البعض منهم الى قيادة الحزب لمجرد الولاء وليس الكفاءة..... حتى أصبح الفاشلون يحاربون الناجحين وأصبح مقرّ البارزاني كالبلاط العباسي في عهد هارون الرشيد". ثم يواصل: "ومن ناحية أخرى لعب جهاز استخبارات الحزب (باراستن) دورا كبيرا في تفسخ وتدهور الأوضاع الداخلية وكان اهتمام القيادة بهذا الجهاز الغير كفوء كبيرا لكي يصبح البديل للحزب مستقبلاً." (حقيقة مسيرة ثورة أيلول 1961 على سنجاري. دهوك 2013. ص: 52)

هنا لابد من عودة سريعة ومختصرة الى أعوام الستينات من القرن الماضي. لمعرفة الخلفيات التاريخية لولادة هذا الجهاز والذي كتب عنه (علي سنجاري) وقد دخلنا القرن الواحد والعشرين: "لا بد من الذكر بأن جهاز استخبارات الحزب "باراستن" أخذ يتدخل في مؤتمرات الحزب منذ المؤتمر الحادي عشر وما بعد وهو الذي يزكي المرشحين ويحدد النتائج ويشرف ويدير

الحزب من وراء الستار: (القضية الكردية وحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، الجزء الثالث. علي سنجاري. مطبعة خاني دهوك 2012. ص: 498)

كان العالم في بداية الستينات يعيش أجواء الحرب الباردة، وحركات التحرر الوطني تجتاح المستعمرات القديمة، وهي اما نالت استقلالها أو كانت في طريقها نحو الاستقلال. وكان العراق بثرواته الكبيرة خارج النفوذ البريطاني إثر انقلاب قاده عبد الكريم قاسم عام 1958 وأيده الشعب العراقي بأغلبية ساحقة، فتحول العراق من النظام الملكي الى النظام الجمهوري كما حصل في مصر في 23 يوليو 1953، اتخذت الحكومة العراقية الجديدة خطوات عملية للابتعاد عن الأحلاف العسكرية والهيمنة الغربية وبناء علاقات تجارية وصناعية وعسكرية وثقافية مع المعسكر الاشتراكي وبالأخص مع موسكو. كما ساد جو عام من الحريات السياسية وظهر الحزب الشيوعي العراقي كأقوى حزب سياسي في العراق، وأجيز الحزب الديمقراطي الكردستاني اسوة ببقية الأحزاب وساد جو من التآخي العربي الكردي، كما قام النظام الجديد بسن قانون الإصلاح الزراعي لأنصاف طبقة الفلاحين وزيادة الإنتاج الزراعي، وافتتح في عهد قاسم 2334 مدرسة و776 مركز لمحو الامية وسنّ قانون الأحوال الشخصية وحماية حقوق المرأة وقانون رقم 80 الخاص بتأميم النفط وبني المستشفيات في مختلف مناطق العراق كما أقام مصانع للورق والزجاج ومعمل للبتروكيمياويات ... والقائمة تطول.

كل هذا لم يرق للمعسكر الغربي وبالأخص بريطانيا والولايات المتحدة، والدول التابعة مثل تركيا وإيران وإسرائيل والأردن والسعودية وبالتواطئ مع الأدوات والعملاء في داخل العراق بدؤوا بالتآمر على نظام عبد الكريم قاسم لأسقاطه.